اليوتوبيا والديستوبيا في رواية ما بعد الثورة
دراسة في تشكلات المصطلح (*)

زينب محمد عبد الحميد أحمد

باحثة دكتوراه

تحت إشراف

الدكتور: خيرى عبد الحميد دومة

الأستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها –

كلية الآداب، جامعة القاهرة

الملخص:

تقوم هذه الدراسة على رصد التباين أو التماس بين عدد من المصطلحات الإشكالية المتقاطعة مع اليوتوبيا والديستوبيا بما فيها: الرواية السياسية، وأدب الخيال العلمي، وأدب الرعب.

تستعرض الدراسة نشأة وتطور مصطلح اليوتوبيا، كما تسوق دوافع إلصاقها بحلم التغيير. ترصد الدراسة كذلك بعض روايات الديستوبيا الأولى، مستشفة ملامحها، ومتتبعة نشأة مفهوم الديستوبيا. كما تحلل الدراسة دوافع تشكل الكتابة الروائية الاستشرافية لما بعد الثورة في حدود خيبات المأساة التي تتبناها روايات الديستوبيا، أو أمل تحقق مشروع الخلاص الذي تتبناه روايات اليوتوبيا.

(*) **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٣) العدد (٢) يناير ٢٠٢٣.**

Utopia and Dystopia in the Post- Revolution Novel
A terminological study

Abstract

This study is based on monitoring the discrepancy or contact between a number of problematic terms intersecting with utopia and dystopia. These terms are including: political fiction, science fiction literature, and horror literature.

The study reviews the origins and development of the term utopia, and coordinates the motives for attaching it to the dream of change. The study also monitors first dystopia novels, exploring their features, and tracing the origins of the concept of dystopia. The study also analyzes the motives that constitute the forward-looking fiction writing for post-revolution within the limits of the disappointments of the tragedy that dystopia novels adopts, or the hope of realizing the project of salvation adopted by utopia novels.

تتقاطع بعض أشكال الكتابة الروائية في وصفها مع رواية اليوتوبيا أو الديستوبيا. لا ينطبق بالطبع التصنيف القاطع بانتماء الرواية إلى فكرة أو شكل أو اتجاه روائي بعينه؛ إذ إن أشكال التعبير الأدبي بصفة عامة تتسع لأن تكون بوتقة لكثير من القضايا والموضوعات والمعالجات.

مصطلحات متقاطعة:

الرواية السياسية:

لا ينفي إدراج رواية ما في روايات الديستوبيا أو اليوتوبيا كونها تتقاطع مع مسميات أخرى كالرواية السياسية أو الفانتازيا أو أدب الرعب أو الخيال العلمي، لكنها قد تتقاطع مع هذه التصنيفات في حيز ضيق، كما أنها قد تتسم بمعطيات تفرض عليها الاندراج في عالم الديستوبيا أو اليوتوبيا بسمات واضحة تخرجها من وصف ذي خصائص أقل هيمنة. ربما تنطلق معظم هذه النصوص الروائية المتقاطعة – والتي سأفصل الحديث عن مسمياتها – من المنطلق ذاته؛ فـ"في النصوص الجديدة، يلتقي الفرد المأزوم، المقهور،

المتروك على الحساب، بالسياسة مشخصة في واقع مسدود الآفاق، فلا يعود يحس بانتماء إلى الوطن أو المجتمع بل يسعى إلى شق طريق له وسط كتل بشرية تحكمها قوانين الغاب، بعيدًا عن التعاليم والمواثيق والدساتير التي سطرتها مؤسسات تحمي نفسها وتؤيد استمرار حكامها."(١)

تنطلق هذه النصوص من أزمة الواقع، السياسي والاجتماعي؛ بخاصة بعد أن أصبحت الثورة نقطة جديدة لتصور المستقبل بكل ما يحمله من طابع سياسي واجتماعي وغيره. قد يبدو هذا الاستشراف سياسيًّا؛ إذ ينطلق من حدث ثوري واجه _فيما واجه_ السلطة في المقام الأول؛ فيأخذ في طياته المستقبلية معالجات عن طبيعة السلطة وتفاعل الشخصيات معها. من هنا قد يصبح التعبير باسم "الرواية السياسية" ملائمًا جدًّا. يقول سيد حامد النساج في تعريفه للرواية السياسية بأنها:

"رواية نقد ومعارضة واحتجاج، وهي رواية ضد السلطة أيًّا كان شكلها، وهي رواية تحرر شامل، مادتها معاناة لموضوعات السلطة للوطن والانتماء السياسي."(٢)

كذلك يعرف طه وادي في دراسته الرواية السياسية بكونها: "الرواية التي تلعب القضايا والموضوعات السياسية فيها دور الغالب بشكل صريح أو رمزي. وكاتب الرواية السياسية ليس منتميًّا –بالضرورة– إلى حزب من الأحزاب السياسية لكنه صاحب إيديولوجيا يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني."(٣)

نقف هنا عند هذين التعريفين؛ إذ يحددان التعرض لقضية سياسية أو سلطة مرتكزًا لتصنيف الرواية على أنها سياسية، وهنا نقف عند "السياسة" التي نجدها بابًا لكثير مما هو اجتماعي أو اقتصادي أيضًا. يصبح للسياسة معنى فضفاض، وهذا ما يقره طه وادي نفسه؛ إذ "تبدو (السياسة) باعتبارها "نسقًا اجتماعيًّا": عملية معقدة، تقوم على تصورات نظرية أكثر شمولًا واتساعًا من الفهم التقليدي والعام لها، كما أنها لم تعد تهتم بقضية بعينها، وإنما اتسع إهابها

ليتناول كل مكونات النسق السياسي مثل: أسلوب الحكم، وطريقة تشكيل الحكومة، وصنع القرار السياسي وكيفية تنفيذه، وموقف الهيئة الحاكمة من القوى المعارضة.. إلخ."[٤] فتصبح دائرة السياسة في منظورها المتعلق بالحكم وتنفيذ القرارات متشعبة في دوائر متسعة ومتدرجة و"كذلك تبدو السياسة على مستوى الممارسة عملية أكثر تعقيدًا وشمولًا؛ لأن حياة الفرد داخل نسق اجتماعي أصبحت حياة (مسيسة) على المستويات كافة، بل إن بعض المجالات التي قد تبدو –في الظاهر– بعيدة عن دائرة البناء السياسي، هي – في حقيقة الأمر– خاضعة لقرار سياسي، مثل: طريقة توزيع الثروة الاقتصادية، ونظام التعليم، وحركة القوى العاملة، وقوانين الإسكان، والتوجه نحو الصناعة، أو الزراعة..."[٥] بوضوح تصبح السياسة كل شيء نتعامل معه في أوطاننا، ويصبح أي اعتراض –ولو على رصف الطريق– سياسة. تتخذ السياسة معنى فضفاضًا تغدو معه كثير من الروايات سياسية. لا أنفي هنا أن تناول قضايا "سياسية" بعينها قد يفرض أشكالًا ومعالجات أدبية خاصة؛ لكنها في الوقت ذاته لا تنفي عن الرواية مثلًا أن تكون اجتماعية أو فلسفية أو غيرها. كذلك قد تعرض بعض الأعمال الروائية حدثًا "سياسيًّا" لكنها لا تتعارض معه أو تؤيده أو تعنى به في ذاته. إن السياسة فرض –إن جاز التعبير– قد يغدو جليًّا أو رمزيًّا؛ لكن تصنيف الرواية باعتبارها سياسية يغدو تصنيفًا فضفاضًا إلى حد كبير.

أدب الرعب:

دفع الخوف من كل مجهول على مر العصور إلى ظهور أشكال أدبية على المستوى الشعبي في بداية الأمر للتعبير عن خوف الإنسان من بيئته وظواهر الكون. اتضح فيها كثير من سمات الرعب حيث تفسير المجهول بالنسبة له في شكل فانتازي يغلفه الرعب أو عدم تفسيره وإطلاق العنان للرعب ذاته بوصفه مبررًا للحدث. ظهر بعد ذلك مسمى أدب الرعب مع رواية الرعب

الإنجليزية "قلعة أوترانتو" التي نشرت عام ١٧٦٤م لكاتبها هوارس والبول. عرفت كذلك رواية الرعب باسم الرواية القوطية.

قد يتقاطع أدب الرعب مع الديستوبيا في كثير من الأحيان؛ إذ ينطلقان من الواقع ويفضيان إلى استشراف كل ما هو سيئ مقرونًا بالرعب من هذا القادم. "يقال إننا نسعى في الفن والأدب وراء الخوف، نبحث عنه، نسعى إليه، من أجل أن نواجهه، نحن لا نستطيع أن نتجنبه أو نهرب منه، ومن ثم فإننا قد نبحث عنه، ونسعى إليه كي نواجهه، كي نقوي من خلاله أنفسنا...."[٦]

قد ينطلق أدب الرعب والديستوبيا كذلك من نقطة واقعية على مستوى المكان والزمان والحدث. أما ما يجعلنا نضع فارقًا هنا بين الديستوبيا والرعب أن الأولى تنطلق من معطى واقعي وليس بالضرورة أن ينطلق منه أدب الرعب؛ إذ من الممكن أن يأخذ نقطة زمنية حرة من الماضي أو الحاضر أو المستقبل، كما أنها ليست بالضرورة واقعية أو حتى محتملة الحدوث. أما الفارق الأكثر إلحاحًا هو أن غاية أدب الرعب هو الرعب في حد ذاته والانفصال عن الواقع، وإن كان منطلقًا منه. أما الديستوبيا فتبني مآسيها على الواقع لتشريحه بغية ألا ننفصل عن تبعاته المتخيلة.

أدب الخيال العلمي:

رأينا كيف تنطلق الديستوبيا أو اليوتوبيا من حدث واقعي لتبني مآساة متخيلة على مآسي معطيات الواقع. تبدو تقنية الاستقبال دافعة في كثير من الأحيان إلى تخيل تطور الحياة الصناعية التي نعيشها وكذلك تطور التكنولوجيا. ندرك أن التطور التكنولوجي في تسارع مع الزمن بتطوره وطفراته مما يسمح للروائي أن يضع النظم الصناعية والتكنولوجية في طورها المستقبلي المتخيل ضمن أحداث روايته. سيعتمد بالطبع على "خياله العلمي" إن جاز التعبير. لكن هذا الاستخدام أو الاستشراف للحياة العلمية والتكنولوجية في رواية الديستوبيا لا يلبث أن يصبح عنصرًا من عناصر الرواية. لا تهدف رواية الديستوبيا أن تضع أمامها هذا التطور في حد ذاته أو ترتكز عليه في بناء المأساة التي

ترسمها، ولا تغدو صفة "العلمية" هي المرتكز الذي تدفع إلى تطوره على مستوى الحدث؛ لكنها في الوقت ذاته قد لا تستطيع إغفال توغل أدواته داخل عالمها المستقبلي في بعض الأحيان. ومن ثم فإن رواية الخيال العلمي تضع ما تتصف به وهو "العلم" محركًا وغاية ضمن استشرافها له.

يوتوبيا وديستوبيا الثورة

يوتوبيا المصطلح والالتباس:

أطلق توماس مور كلمة "يوتوبيا" على كتابه. تتكون الكلمة من مقطعين يونانيين هما (ou) بمعنى "لا"، و(topos) التي تعني "المكان". استخدم مور الكلمة لوصف تخيل مواز لعالم هو "اللامكان" ليُبعد عنه صلته بالواقع، لكنه قائم على أفكار تدعو لتأسيس مجتمع وفقًا لتراتب طبقي ومنظور اجتماعي وقيمي وسياسي ينبني عليه هذا المجتمع. تحولت كلمة "يوتوبيا" فيما بعد إلى مصطلح اكتسب بعض الدلالات التي سأحاول هنا أن أتتبعها.

أعادت فكرة تخيل مدينة تحمل قيمًا مجتمعية وأسلوبًا في الحكم يتبعه تراتب طبقي ما؛ العودة إلى تصورات مماثلة سابقة لـ"يوتوبيا" لم تحمل الاسم نفسه. كانت أهم الاستدعاءات هي "جمهورية" أفلاطون، وبعيدًا عن مدى تطابق النظام المجتمعي في الحالتين؛ إلا أنهما قاما على الفكرة ذاتها التي تخلق مكانًا غير متحقق هنا والآن؛ ليستشرف فيه صاحبها تحقق أيديولوجيا يتصور فيها الكمال والمثالية.

إن تتبعنا نظرة البعض إلى الفلسفة اليونانية سنجد أنها لاقت عند البعض معادلًا يصنفها كونها "دينًا" موازيًا، أو بعبارة أخرى يجعل من تصوراتها بديلًا تحت مجهر المقارنة بآليات الاعتقاد الديني وتصوراته عن حياة الإنسان ومآله. هكذا امتدت الاستدعاءات المماثلة للكلمة للدخول في دائرة جديدة؛ فأخذ الدينيون ينظرون إلى "المدينة" المثالية على أنها قد تحققت بالفعل وفق الشرائع المنزلة، وكان من ضمن تفسيراتهم أن "ظهور المدن الطوباويّة، المثاليّة، أو الخياليّة، هو تعبير بشريّ عن المطلب، ولا تمثّل النموذج الأمثل للإنسان، لأنّها

مجرّد تصوّرات، وفرضيّات، مشروطة بأطر معرفيّة، منتجة، ومقيّدة بحدود جغرافيّة، وإثنيّة، أمّا موقع المدينة التي تقوم على الفضيلة، والعدل، وغياب الجور، فلا يكون إلا في الشريعة التي اكتملت بالنبيّ الخاتم(صلى الله عيه وسلم)"[٧].

لم تقف كلمة "يوتوبيا" عند كونها اسمًا لمكان متخيل أو "لا مكان" يحمل تصورات توماس مور عنه؛ بل أصبحت مصطلحًا له عدة دلالات، بل ويتخلله عدد من الالتباسات البعيدة عن مصدره الأول. إن نظرنا إلى التصور الديني فسنجد أنه أبعد اليوتوبيا عن دائرة التاريخ كلية؛ إذ جعل من الوعد الديني بحياة أخرى في مكان ليس هو الآخر (هنا والآن) يحصل فيه كل إنسان على حقه، لكنه في الوقت نفسه عالم الحقيقة في اعتقادهم حيث يجازى فيه المرء عن أعماله؛ فيثاب فيه الخيِّر ويعاقب فيه المذنب، ذلك العالم الذي يقوم في الوقت الموعود بعد نهاية هذا التاريخ بكل ما فيه من قوانين معترف بها الآن.

فإذا أخذنا في الاعتبار تفكير الفلاسفة في عالم آخر أو في اللامكان الذي قد تسود فيه مجموعة من القوانين الجديدة غير المتحققة في الواقع؛ فإننا نجد أن فهمًا موازيًا لكلمة "يوتوبيا" قد أحاطها. وجد بعض الدينيين في اليوتوبيا عالمًا خياليًّا نتج عن محاولة الفلاسفة أن يختلقوا عالمًا يوازي عالم الحقيقة المنتظر في اعتقادهم من جنة ونار، وبذلك أنتج مفهومًا وضع اليوتوبيا موضعًا ينفي عنها صلتها بالواقع كما يبعد عنها التاريخ بل ويبعد عنها العقلانية.

ربما كان من السهل إبعاد الالتباس الذي وضعته تصورات الدينيين عن اليوتوبيا، بعد أن أصبحت مصطلحًا؛ حيث إنها تصور بشري بالأساس قد يضع الدين في تصوره وقد ينحيه لكنه لا يفترض بعثًا يحاسب فيه ناس؛ ووفقًا لهذا التصور فإنه يظل يحمل قوانين الحياة التي نعرفها ونتعامل بها حتى الآن، وإن تناول قضية الدين في طياته (من حرية اعتقاد أو شكل لممارسة الطقوس) إلا أنه لا يتطرق للدور الإلهي وفق أي منظور ديني.

التبس كذلك مصطلح اليوتوبيا بمفهوم "فانتازي" لا يجعله تصورًا، ربما غير موجود هنا والآن فقط، ولكنه يقوم على أيديولوجيا تستشرف مجموعة من القيم مستحيلة التحقق بالأساس. "... إن كلمة "يوتوبيا" أصبحت تعني اليوم ضمن ما تعني "اللا اتصال" بالواقع أو نوعًا من "فصد الدم" كما أصبح ينظر إلى الشخص الذي يؤمن باليوتوبيات –على نطاق واسع– إما على أنه شخص معتل العقل أو منفصل عن الواقع."[٨] إلا أن هذا الفهم للمصطلح صار في تراجع؛ إذ استكمل راسل جاكوبي استخدامه للكلمة يوتوبيا على نحو يبعده عن فانتازيا المستحيل؛ يقول: "على أنني أستخدم كلمة "اليوتوبي" بمعناها الأكثر رحابة والأقل مدعاة للتهديد، أعني: الاعتقاد بأن المستقبل يمكن أن يتجاوز الحاضر بصورة أساسية، أو أن نسيج الحياة والعمل، وحتى الحب في المستقبل، قد لا يحمل سوى تشابه ضئيل بما هو مألوف لنا اليوم. وأنا أُلمِّح هنا إلى فكرة أن التاريخ يحمل إمكانات للحرية والمتعة لم تكد تستغل بعد".[٩]

لم يتوقف الأمر عن نفي "فانتزيا المستحيل" –إن جاز التعبير– عن مصطلح "يوتوبيا"؛ بل وجد ولتر ستيس كذلك في الفكرة نفسها، في جمهورية أفلاطون تحديدًا والتي هي أقدم من المصطلح؛ مجموعة من المبادئ تنفي عنها الاستحالة وتضع من أفكارها موضعًا قابلًا للتحقق؛ إذ يقول: "... ليست (جمهورية) أفلاطون محاولة لتصوير كمال خيالي وغير واقعي. إن هدفها تأسيس السياسة على نظرية المُثل بتصوير مثال الدولة. لهذا فإن هذه الدولة ليست غير واقعية بل هي الدولة الحقيقية الوحيدة وحقيقتها هي أساس وجود كل الدول الموجودة بالفعل".[١٠]

بعد أن تحولت اليوتوبيا من كلمة إلى مصطلح له دلالاته، وقد عرضت بعضًا من الالتباسات التي أحاطته؛ فإن الاتفاق على تعريف المصطلح قد أخذ كذلك جانبين.

رأى الفريق الأول أنه لا يمكن وضع تعريف محدد لليوتوبيا؛ إذ إنها ذات دوافع فطرية لكنها في الوقت ذاته مختلفة ومتنوعة بتنوع الخبرات والرؤى

الإنسانية، ومن ثم لا يمكن وضعها على رأس تعريف بعينه. مثل هذا الفريق "...الأخوان مانويل في دراستهما الشهيرة "الفكر اليوتوبي في العالم الغربي". وهما يزعمان أن اليوتوبيا تتحدى أي تعريف بسبب تغيرها المستمر. [...] يشير آل مانويل إلى ما يسميانه "الميل الطبيعي لليوتوبيا عند الإنسان" وهو يبرز في تنوع التجارب في مختلف الفترات."(١١) وهذا الرأي، على الرغم من تأكيده على صعوبة التعريف؛ فإنه يؤكد على أن اليوتوبيا ليست أوهامًا بل هي نتاج لتجارب وبالتالي قد تصبح في حيز الممكن لا المستحيل.

أما الفريق الثاني فوجد أن تعريف اليوتوبيا ممكن، وذلك بالبحث عن دوافع هذه الرؤية، و"أفضل من يمثلهم هو ج. س. ديفس في كتابه "اليوتوبيا والمجتمع المثالي". الجانب الأهم بالنسبة لديفس هو إيجاد أرضية موضوعية لتعريف اليوتوبيا. فهو يقول إن ثمة إحساسًا بالفوضى ينتج عن طريق التناول الذاتي لليوتوبيا تبعًا لأي مظهر من مظاهرها. وعلى هذا الأساس فإن بعض هذه الطرق قد عرَّفت اليوتوبيا إما برؤية الإنسان لعالم أفضل (أو متكامل) أو بتخيلات سياسية أو فلسفية." (١٢)

لم تصبح اليوتوبيا وفقًا لهذا الفريق الذي مثَّله ديفس هي البحث عن مجتمع مثالي لكنها تحاول عبر مجموعة من التصورات أن تضمن تطورًا يزيح عن المجتمع عيوبه ونواقصه؛ حيث "... إن ما يميز اليوتوبيا عن الصور الأخرى للمجتمع المثالي، حيث يكون الهدف الأساسي هو زيادة الانسجام والإقلاع من الصراع والمشاكل، هو الطريقة التي تتمكن فيها من إنجاز "توافق لقناعات محددة ورغبات إنسانية غير محدودة ضمن السياق الاجتماعي". يقول ديفيس: "إن اليوتوبيا عملية متماسكة، مجموعة من الاستراتيجيات للحفاظ على التنظيم الاجتماعي والتكامل إزاء النواقص، ناهيك عن عداء الطبيعة والتعنت البشري".(١٣)

يوتوبيا المشروع:

يصبح من الواضح إذن أن دافع التغيير هو قرين التصور اليوتوبي. يبدو كذلك أن لحظة ما فارقة قد تدفع لتصور بناء مجتمعي جديد _قابل للتحقق_ وفق نظام لديه القابلية لتشكيل أوضاع أفضل لأفراده، ودون أن تنسلخ عن ماض من المسببات لتشكلها. "إن الأغلبية الساحقة من اليوتوبيا لم تكتب بوصفها قوالب لكمال لا يتبدل، إنني أظنها تشبه صورة تأسر لحظة في زمان كان له ماض وسيكون له مستقبل، وهذا المستقبل سيكون مختلفًا، وإن كان أقل اختلافًا عن الماضي."(١٤)

إن كنا هنا نقرن دافع التغيير باليوتوبيا؛ فما الفارق بين مجموعة من الأفكار التي تسعى لأن تطور الحياة الاجتماعية والسياسية في مجتمع ما والتصور اليوتوبي؛ أي ما الفارق بين أيديولوجيا محددة تسعى للتغيير، واليوتوبيا التي بدورها تتصور مجتمعًا بديلًا من الممكن تحقيقه وفق آليات قد تبدو جديدة أو مغايرة للمجتمع؟

وصف كارل مانهايم الحالة الذهنية التي تتعارض مع الواقع بأنها حالة من اليوتوبيا؛ إذ قال: "تكون الحالة الذهنية يوتوبية حينما تتعارض مع حالة الأمر الواقع الذي تحدث فيه."(١٥) لكننا نظل في حاجة للتفريق بين أيديولوجيا مغايرة للواقع، ويوتوبيا معارضة. نجد هذا الفارق الدقيق حين يحدد مانهايم الأيديولوجيا بانسجامها مع معطيات ونسق المجتمع، وإن كانت تهدف للتغيير لصالح تحقيق أهداف اجتماعية وسياسية عادلة؛ إلا أنها لا تسعى إلى خلق فعل ثوري يشي برفض النظام القائم في عمومه. يقول مانهايم: "كل فترة في التاريخ تحتوي على أفكار تسمو على النظام القائم. ولكن هذه الأفكار لم تكن تُفعّل بصفتها يوتوبيات، بل كانت بالأحرى أيديولوجيات مناسبة لهذه المرحلة من الوجود طالما ظلت مندمجة بشكل "عضوي" ومتناسق مع النظرة الشاملة للعالم التي تميزت بها تلك الفترة (أي أنها لم تُوجِد احتمالات ثورية)."(١٦)

لا يقف مانهايم عند تحديد اليوتوبيا على مستوى ذهني يتعارض مع النظام القائم؛ إذ قد يكون هذا الاعتراض من باب الهدم، أو يهدف لترسيخ أيديولوجيا غير عادلة، أو تصبح أفكاره لا تنفصل عن حيز التنظير غير مأمول التحقق. "غير أن مانهايم يعود ويؤكد أن الفكرة تعتبر يوتوبية إذا توافر لها شرطان:

الأول: أن تتجاوز الواقع القائم وتتفوق عليه.

الثاني: أن تنتقل من حيز الفكر إلى الممارسة والسلوك، فتعمل على تحطيم الواقع تحطيمًا جزئيًّا أو كليًّا."(١٧)

أتفق مع مانهايم عند هذه النقاط في تعريفه لليوتوبيا؛ إذ إن أول أهدافها يتمثل في التفوق على الوضع القائم، حيث استشراف عالم بصفات أفضل. تقترن اليوتوبيا كذلك وفق هذه التعريفات بالثورة لا في مفهومها الفلسفي القديم كما هو عند أفلاطون وأرسطو حيث تبادل السلطة بين عدد معروف مسبقًا من الأنظمة الشمولية، بل تشمل الثورة في مفهومها الذي يتبنى الرغبة في تحقيق مجموعة من القيم الإنسانية العادلة فتسعى للحرية والمساواة. تؤدي بنا معطيات اليوتوبيا إلى كونها تؤول إلى مشروع ما؛ تدفعه الحركة الثورية إلى التحقق، أو على أقل تقدير قد تصبح مركزًا لانطلاقه؛ حيث الرغبة في التغيير والأمل في استشراف عالم يسوده قيم أكثر عدلًا بين أفراده. وقد صار مصطلح اليوتوبيا رغم ما يتبادر للذهن إلى الآن من علاقته بالخيال؛ لصيقًا بالواقع، لا من حيث تحققه بل من حيث تقديم قوانين وتصورات جديدة؛ تحاول بدورها أن تنأى بالمجتمع عن نواقصه؛ إذ تقدم نموذجًا قابلًا للتحقق وفقًا لقوانيه التي يعتبرها بديلًا عن القوانين السائدة. "وكي نتحقق من الصلة الوثيقة بين اليوتوبيا والواقع، نفترض في الأساس أن ما من يوتوبيا ممكنة من دون وجود الشروط غير المتكاملة في الواقع. فهي تربط نفسها بالواقع، من خلال التقدم على أنها بديل، عالم من الانسجام والسعادة."(١٨)

نقيض اليوتوبيا (الديستوبيا)

المصطلح والتاريخ:

تمثل الثورات حدثًا لا ينفك أن يفتح بابًا لاستشراف بناء جديد للمجتمع لم يتحقق بعد. قد تكتسب هذه التصورات صفة يوتوبيا؛ إن كانت بديلًا يرسم معايير صالحة يتبنى مشروعًا قابلًا للتحقق؛ يضمن قيم العدالة والمساواة بين أفراده. قد يبالغ البعض في وصف اليوتوبيا "بالفردوس أو الجنة" في نوع من وصمها بالاستحالة أو المبالغة. إذ يرون ما تطمح إليه اليوتوبيا من قيم لن تقبله السلطة ولا يتمثله الواقع. لكني أتصور أن نظرتهم تلك تقتنص اليوتوبيا كما لو أنها نقطة متحققة من فراغ؛ أقصد أنهم ينظرون إليها كما لو كانت صورة نهائية ينتفي عنها الفعل الثوري الذي يسبقها أو يشملها ليدفعها إلى التحقق، والتي تحوي داخلها تاريخًا من المقاومة والاشتباك مع السلطة والرفض بكل ما يتبعه من عنف وخسارة. هكذا فإن الدراسة هنا تتبنى مفهومًا لليوتوبيا يجعل منها مشروعًا مستقبليًّا عادلًا قابلًا للتحقق، لا ينفك أن يستشرف هذا التصور بعد وقوع فعل ثوري أو تصور قيامه. نستطيع فهم أن هذه الثورية سواء كانت متحققة قبل استشراف اليوتوبيا لما بعدها، أو توقع اليوتوبيا لضرورتها لتحقيق مآلها الجديدة؛ فإنها تحاول أن تنفض عن تصوراتها المستقبلية نقيضتها "الديستوبيا".

ترنو اليوتوبيا إلى الحد من المأساة بتصور الخلاص منها، لكنها في الوقت ذاته تجلعنا نتصور نقيضها؛ إذ قد تدفع مقاومة السلطات إلى انتكاسات. أعني قد تدفع الثورة والمقاومة إلى مزيد من إحكام دائرة القهر والسيطرة، أو لنقل قد تدفعنا المأساة إلى مزيد من المآسي. استشعر كثير من الكتاب هذه الفكرة التي تنطلق من المعطيات التاريخية والاجتماعية السيئة؛ والتي تؤدي حتمًا إلى سيادة ما هو أسوأ في ظل غياب مستقبلي لمجموعة من القيم والنظم العادلة؛ فاستشرفوا مأساة مستقبلية على المأساة الآنية في ذلك المكان السيئ. قد ينطلق كل من اليوتوبيا والديستوبيا من حدث ثوري واحد؛

لكنهما لا يلبثان أن يجعلا من هذا الحدث التاريخي ذاته خلاصًا أو جحيما؛ إذ"... يرسم فكر اليوتوبيا التاريخ كونه يؤدي إلى الخلاص أو إلى الفردوس على الأرض، بينما فكر الديستوبيا يرى التاريخ كونه يؤدي إلى عدم الخلاص والجحيم. وأخيرًا بينما يحاول فكر اليوتوبيا التحول، أو التحديد، من المعاناة التي يحياها الإنسان، يفترض فكر الديستوبيا من جانبه أن هذه المعاناة هي فكرة البداية."(١٩)

كانت فكرة الديستوبيا مثل نقيضتها لها من التاريخ الفكري ما يسبق مسماها؛ إذ عرفت المدينة الفاسدة في كثير من الأعمال التي وجدت من سيادة الأنظمة الشمولية وتشييء الإنسان أمام عالم صناعي جديد؛ ما يدفع "المدينة" خاصة إلى أن تصبح نموذجًا للفساد. لم يقف تصور المدينة الفاسدة عند الأنظمة المسيطرة أو تشيؤ الإنسان، بل تراكم الفساد ليؤدي إلى تطور الإرهاب وانعدام القيم عند المحكومين أيضًا، وكذلك توحشت الطبيعة أو تلاشى منها الجمال في هذا العالم القميء.

دفعت النظم الشمولية وزيادة الفجوة بين المحكومين والسلطة إلى الشعور بالهدر الإنساني الذي هو بدوره متفوق على القهر الذي تمارسه السلطة. يقول دكتور مصطفى حجازي إن "القهر يعني في التعريف القاموسي الغلبة والأخذ من فوق، وبدون رضى الشخص الآخر. وبالتالي فالإنسان المقهور هو ذاك المغلوب على أمره، الذي تعرض لفرض السطوة عليه من قبل المتسلط عنوة. وأما في تعريف التخلف الاجتماعي فيتمثل القهر في فقدان السيطرة على المصير إزاء قوى الطبيعة واعتباطها وقوى التسلط في آن معًا."(٢٠) يصل حجازي بدارسته إلى ما هو أشمل وأبعد إنه الشعور الأكثر يأسًا أو الأكثر مأسوية أو لنقل الأكثر ديستوباوية؛ فيكمل: "أما الهدر فهو أوسع مدى بحيث يستوعب القهر الذي يتحول إلى إحدى حالاته. فالهدر يتفاوت من حيث الشدة ما بين هدر الدم واستباحة حياة الآخر باعتباره لا شيء، وبالتالي عديم القيمة والحصانة..."(٢١).

ألحت كثير من مظاهر إحكام سلطة من القهر وتشرذم الإنسان داخل أوطانه، بل وإحساسه بزيف كثير من الشعارات التي تستخدم تحت عباءة الدين أو الديموقراطية؛ إلى الدفع بأن تكون المعاناة هي نقطة استشراف المستقبل الذي بدوره لن يلبث إلا أن يصبح بمعطياته أكثر مأساوية وبؤسًا. ظهر هذا النوع من الكتابة السوداوية مختلطًا أحيانًا بتصورات علمية مما أدى إلى دمجها بأدب الخيال العلمي. ومع تصديقي بتداخل وامتزاج كثير من الأدوات داخل الديستوبيا لكنني أوضحت ما يجعلنا نُفرِّق بينها وبين ما يتشابك معها من الأوصاف؛ إذ إن صفة "العلمية" ليست هي هدفها المباشر، كما أن لها من الإشارات ما يجعلها تتشابك مع أحداث سياسية واجتماعية بعينها. تستشرف الديستوبيا كذلك المستقبل في صورة مخيفة لكن الرعب الذي يحوطها ليس هو مظهرها الوحيد.

توالت الأعمال الموصوفة بالديستوبيا والتي من أشهرها رواية ألدوس هكسلي "عالم جديد شجاع" عام ١٩٣٢م، وكذلك رواية راي برادبوري "فهرنهايت" عام ١٩٥٣م، ورواية "نحن" ليفجيني زامياتين، وأشهرهم على الإطلاق رواية "١٩٨٤" لجورج أورويل. أما أول من استخدم مصطلح "ديستوبيا" فكان "جون ستيوارت مل" عام ١٨٦٨م في بعض خطاباته البرلمانية. "وإذا كان القرن التاسع عشر قد أتاح قيام اليوتوبيات، فإن القرن العشرين أثار رياحًا مضادة لليوتوبيا، فمنذ بداية القرن، مع كتاب كارل كراوس "الأيام الأخيرة للنوع البشري" وكتاب أوتو شبنجلر "انهيار الغرب" تحول المزاج إلى التقوض والسقوط."(٢٢)

إن كنا نرى في المدنية المتوحشة والفساد والهدر موتيفات متنوعة لخلق عالم من الديستوبيا. فإني سأراجع القول بأن رواية "جوزيف هال" الذي كتبت عام ١٥٩٥م بعنوان "Mundus Alter et Idem" هي العمل الأول الذي يوصف بالديستوبيا، صحيح أن الكثير من الكتابات عنها تصفها بـ"الديستوبيا الروائية الأولى" في صورتها الواضحة، كما تصف يوتوبيا مور باليوتوبيا

الأولى، لكن تاريخ الديستوبيا بمعناه ربما نجده هو الآخر في جمهورية أفلاطون، كحال اليوتوبيا في صورتها الفكرية كذلك. إذ أرى في جمهورية أفلاطون شرائح من المجتمع ستمثل لهم هذه المدينة وهذا الشكل من القوانين ديستوبيا خالصة؛ فمظاهر من الهدر والتشيؤ في صالح الدولة تبدو جلية على كثير من الأصعدة تجعل حياة عدد من الأفراد شديدة البؤس. أرى لهذه الأسباب أن الديستوبيا قد تكون متجذرة فيما هو أعمق من ظواهر المدن الفاسدة في تصوراتها الأدبية الحديثة، إذ إنها تخالط تصورات أفلاطون الذي يعدها الكثيرون تاريخًا لليوتوبيا؛ فيما أعدها خليطًا يبدو يوتوباويًّا ويحوي ديستوبيا دفينة.

كانت تعريفات الديستوبيا في مجملها تؤكد فكرة الضياع الإنساني أمام إحكام المادة والفساد والقبح، تحت قبضة عنيفة من الأنظمة الشمولية. أوجد الباحثون تشابهًا بين الديستوبيا في مفهومها المعجمي وما تصوره الفلاسفة كذلك. هناك "... تجانس بين تعريف مفهوم الديستوبيا سواء على المستوى المعجمي أم الفلسفي؛ فكلاهما يعكس نفس الخصائص ألا وهي: ضياع الهوية بسبب تجريد الإنسان من آدميته، العيش في واقع شبيه يملأ النفس بالرهبة، بالإضافة إلى عمليات مستمرة لإعادة توصيف الواقع لتحسين صورته لكنها – للأسف– تفضي إلى انحطاطه."(٢٣)

الثورة بين اليوتوبيا ونقيضتها:

تكشف الثورات عن صفات لأجيال عاصرتها، لم تكن بالوضوح أو الفاعلية قبل هذه الأحداث. تزداد على سبيل المثال قدرة الشباب على الفاعلية، إذ تعتمد أغلب الثورات عليهم في الحشد والمواجهة؛ فقد "كانت النضالات من أجل القضايا الكبرى تملأ الكيان الذاتي، وتجعل للوجود كثافة فائقة، حيث يرتبط الإنسان بما يتجاوز حاجات المعاش. إنه يرتقي إلى مستوى القضية النبيلة التي تجعل للوجود معنى، وتفتح الباب أمام حلم مستقبل يجد المرء فيه كيانًا ومكانة ونوعية حياة، صنعها جميعًا من خلال

نضالاته."[٢٤] أما الوصف بفاعلية الشباب فقد يكون حماسيًّا للتحفيز على موجات ثورية جديدة، أو يبدو وقتيًّا جدًّا ومحددًا في الصد أو الدفع في المواجهات الأكثر حدة إثر أعمال العنف التي تقوم بها السلطة في مقاومة الحدث، ثم لا يلبث أن ينطفأ الخطاب حول هذه الفاعلية في حالة تصاعد هيمنة السلطة من جديد على الوضع الثوري. لا تنفي مشاركة النسبة الأكبر من الشباب وجود شرائح متنوعة تتشارك في الفاعلية مع أحداث الثورة وأن تكون محركًا داعمًا لمد موجات الحدث وتطويره بحيث يستوعب مساحة أكبر لتحقيق الأهداف المأمولة.

تصبح الكتابة الاستشرافية عن مستقبل ما بعد الثورة أيقونة شديدة الفاعلية والدلالة. كما أنها قد تبدو غزيرة أمام غيرها من الاتجاهات؛ لا لأنها تلعب دور مواكبة الأحداث التي يمر بها المجتمع والتنبؤ بما بعدها فحسب، بل لأنها في مجملها تثبت علاقة جديدة بين المفكرين والشباب والروائيين بكل ما تحمله الكتابة من خلفيات، وتدعم قدرتهم على انتقاد السلطة والمشاركة في القرار السياسي والمجتمعي. ربما كانت هذه التصورات المأمولة عن الكتابة تتمثلها اليوتوبيا بصفة خاصة؛ إذ تستطيع أن ترسم مشروعًا ينبأ بوعي مستقبلي وشجاعة متاخمة السلطة في تصوراتها عن مستقبل هذا الوطن، والذي من المأمول له بعد هذا النضال الثوري والأرواح المزهقة أن يحظى بمستقبل أفضل. هنا "... يمكن الإشارة إلى العلاقة الضرورية بين ازدهار الكتابة اليوتوبية، وفترات التغيرات العلمية والسياسية. الشرط المهم لإحراز الروح التفاؤلية بالارتباط بهذه التغيرات، هو الرغبة المتمركزة حول الذات، في تناول التاريخ بوصفه ظاهرة معرفية ويمكن التحكم بها."[٢٥]

يأتي عدد من الكتابات الروائية كغيرها من الكتابات؛ ليتبنى مشروعًا مستقبليًّا، لكن ليس من الضروري أن تثمر أحداث الثورات وتبعاتها مستقبلًا قابلًا للتشكل وفق قواعد من إحقاق العدل. يكمن السبب في واقع ما بعد الثورة و"الرؤية" التي يتصورها الكاتب لهذا المستقبل. قد تصبح الكتابة عن يوتوبيا

القيم والمشروع مرحلية، وقد تتوازى مع ديستوبيا المأساة. كان محرك الثورة من فساد وطاقات مهدرة كافيًا لمد أحداثها وتطورها واستقطاب فئات متنوعة لتشارك في هذا الحدث. لم يكن مفاجئًا أن تندفع الناس نحو الثورة، لكن ما طالب به الثوار فاجأ السلطة إذ لم تتوقع أن تزج بهم الشعارات نحو السقوط. وكما زجت الأصوات والأرواح بالسلطة؛ فقد زجت خطابات حشدية جديدة بالحركة الثورية إلى أن تنتكس تحت لواء سلطوي شمولي تحت عباءة دينية. حاولت الثورة أن تمتد في موجات ثورية جديدة؛ فإذا بها تعيد من جديد دفع أثمان من الأرواح في مواجهة قبضات سلطوية أكثر شراسة وإنهاكًا من سابقتها. تتحول بعد ذلك المفاهيم من تضحيات لأجل الثورة إلى خسارات بلا معنى، أو لنقل إلى "هدر"؛ فـ "... الخيبات التي رافقت الهزائم القومية، وما زالت تتفاقم، مع تسلط فئة عاجزة عن القيادة وعن صناعة المصير، وليس لديها من مصدر قوة سوى قبضتها البوليسية، وما أسسته من نظم وعصبيات وهدر، ألقى بكل هذه النضالات والطموحات والتضحيات في الهامش، كما ألقى بالذين كرسوا شبابهم وبذلوا في سبيل القضية الكبرى كل طاقتهم، وضحوا بكل فرصهم في المنفى الوطني، خارج المكان في البلد. تلاشت الأحلام، وسُفهت القضايا، ولم تترك وراءها سوى الفراغ الذي يلتهم الوجود، وسوى مأزق العيش بلا دور."[٢٦]

وجدت كتابة الديستوبيا ما يدفعها للتنوع في طرح مزيد من المآسي؛ فقد لاقت من الإقبال ما دفع الكتاب لإعادة خلق مآسي ما بعد الحدث الثوري في صور متعددة. أما غاية تكرار المأساة وإنتاج مستقبل أكثر كابوسية فقد وجده سارتر محركًا نحو محوه، كما فسر رواجه ببحث القارئ عن تبعات هذا العالم السيئ في مزيج من السخط على المأساة وإعجاب بتشكله الكتابي؛ يقول: "... فإذا تناولت هذا العالم، بما يحتوي عليه من مظالم فليس ذلك لكي أتأمل في هذه المظالم في برودة طبع، بل لكي أردها حية بسخطي وأكشف عنها وأبعثها مظالم على طبيعتها، أي مساوئ يجب أن تمحى وبذا لا يكشف القارئ عن

العالم في عمقه الذي صوره فيه الكاتب إلا بفضل بحث القارئ فيه وسخطه وإعجابه به."[٢٧]

حملت الثورة تضحياتها لمقاومة مآسي الواقع، لا لتقف عند مدخل لديستوبيا أعمق يأسًا؛ لكنها في بعض انتكاساتها أمام دوائر السلطة وفقدان الفرد لقيمته راحت تدعم "مواساة" جديدة تتصور الأسوأ وتتخلص من سذاجة الأمل. "لتصور يوتوبيا حقيقية، ولتصور لوحة معبرة عن المجتمع المثالي، لابد من جرعة من السذاجة وربما البلاهة، على ألا تكون تلك الجرعة ظاهرة أكثر من اللزوم كي لا تفضي إلى إثارة سخط القارئ. الطوباويات الوحيدة القابلة للقراءة هي تلك الطوباويات المزيفة، التي كتبت على سبيل اللعب بغاية التسلية أو كرهًا للبشر .... يوتوبيا بلا أمل"[٢٨].

ربما لا تحمل الديستوبيا ذلك الوجه القبيح من الخيبات وحده؛ إذ إن حضور الفساد متجسدًا ثم متفشيًّا ومكررًا في أيقونات متوغلة؛ يجعلنا نتصور غيابه. أي إننا نستدعي من جديد الحلم اليوتوبي الغائب. "يمكن للمرء أن يرى، مبدئيًّا، فكر نقيض اليوتوبيا بوصفه تحولًا معاصرًا للخطاب اليوتوبي أكثر منه نهاية له. إنه تحول ضمن الجنس نفسه من الموقف الإيجابي إلى السلبي."[٢٩] هذا التحول الذي لا ينفي قابلية تحقيق مشروع يوتوبي أو تصور تحققه وبالتالي الدفع لمد ثوري جديد بين الحين والآخر. "... ونخلص من ذلك الجدل بفكرة أنه مهما كان الفكر المناقض لليوتوبيا مبررًا، فلا يمكن عده نهاية لليوتوبيا، شريطة أن تكون الروح المتقدة لليوتوبيا (من أجل تقليل الفجوة بين الحقيقي والمثالي) قابلة بمعنى ما في أي لحظة، للتراجع والخضوع لليأس، عند ذلك نفهم الديستوبيا جيدًا على أنها تحول اليوتوبيا إلى الطرف المعاكس".[٣٠]

الهوامش:

(١) محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة إبداع عربي، ٢٠١٢. صـ٧٠.

(٢) سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥. ص ٣٣٢.

(٣) طـه وادي، الروايـة السياسـية، الشـركة المصـرية العالميـة للنشـر – لونجمـان، ٢٠٠٣. الفصل الأول: قراءة رواية سياسية، ص١٤.

(٤) المرجع السابق. الفصل الثاني: الفن والسياسة في الرواية العربية المعاصرة، ص٣٦-٣٧.

(٥) المرجع السابق. ص٣٦-٣٧.

(٦) شـاكر عبـد الحميـد، الغرابـة، المفهـوم وتجلياتـه فـي الأدب، عـالم المعرفـة، الكويـت، ٢٠١٢. الفصل الثالث: الغرابة وسرديات الخوف والظلام، ص٩٩.

(٧) شريف الدين بن دوبه، يوتوبيا المفهوم ودلالته في الحضارة الإنسانية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، سلسلة دراسات معاصرة، ٢٠١٨. مقدمة، ص١١،١٠.

(٨) راسل جاكوبي، نهاية اليوتوبيا، السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة. ترجمة: فاروف عبد القادر، عالم المعرفة، الكويت،٢٠٠١. تقديم، ص٨.

(٩) المرجع السابق. ص٨.

(١٠) ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤. فلسفة الأخلاق، الدولة، صـ١٩٢.

(١١) كامل شياع، اليوتوبيا معيارًا نقديًّا، ترجمة: سهيل نجم، مراجعة: صلاح نيازي، دار اللمدى، بغداد ٢٠١٢. مقدمة، ص١٣.

(١٢) المرجع السابق. مقدمة، ص١٤.

(١٣) المرجع السابق. مقدمة، ص١٤.

(١٤) ليمـان تـاور سـارجنت، دفاعًـا عـن اليوتوبيـا، ترجمـة: سـعاد الطويـل، مجلـة ديـوجين، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، عدد ٢٠٩، ٢٠٠٧. صـ١٦.

(١٥) كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ترجمة: محمد رجـا الـديريني، شـركة المكتبـة الكويتيـة، ١٩٨٠. الفصـل الرابـع: العقليـة اليوتوبيـة، صـ٢٤٥.

(١٦) المرجع السابق. الفصل الرابع: العقلية اليوتوبية، صـ٢٤٧.
(١٧) حسن حماد، قصة الصراع بين الفلسفة والسلطة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الأولى ٢٠١٤. الفصل السابع: الماركسيون الجدد نزع القداسة عن الماركسية. ص١٤٤.
(١٨) اليوتوبيا معيارًا نقديًّا. الفصل الأول: اليوتوبيا وسياقاتها، إمكانية تطبيق اليوتوبيا، ص٥٣.
(١٩) المرجع السابق. الفصل الأول: اليوتوبيا وسياقاتها، اليوتوبيا ونقيضها (الديستوبيا)، ص٣١.
(٢٠) مصطفى حجازي، الإنسان المهدور، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠١٣. مقدمة، ص١٥.
(٢١) المرجع السابق. ص١٥.
(٢٢) نهاية اليوتوبيا، السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة. ص١٨٤.
(٢٣) نعيمة علي، ديستوبيا الواقع واليوتوبيا المأمولة في رواية "آلة الزمن"، مجلة فكر وإبداع، ٢٠٠٩. ص١١١.
(٢٤) الإنسان المهدور. الهدر الوجودي في الحياة اليومية، ص٢٥٢.
(٢٥) اليوتوبيا معيارًا نقديًّا. الفصل الأول: اليوتووبيا وسياقتها، التاريخ واليوتوبيا، ص٤٤.
(٢٦) الإنسان المهدور. الهدر الوجودي في الحياة اليومية، ص٢٥٢.
(٢٧) جان بول سارتر، ما الأدب، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد غنيمي هلال، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥. الفصل الثاني: لماذا نكتب؟، ص٦٧.
(٢٨) سيوران، تاريخ ويوتوبيا. ترجمة: آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت–بغداد، ٢٠١٠. ميكانزمات اليوتوبيا، ص١٢٣–١٢٤.
(٢٩) اليوتوبيا معيارًا نقديًّا. الفصل الأول: اليوتووبيا وسياقتها، اليوتوبيا ونقيضها (الديستوبيا)، ص٣٥.
(٣٠) المرجع السابق. نتائج البحث، ص١٤٠.

قائمة المصادر والمراجع

جان بول سارتر، ما الأدب، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد غنيمي هلال، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥.

حسن حماد، قصة الصراع بين الفلسفة والسلطة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الأولى ٢٠١٤.

راسل جاكوبي، نهاية اليوتوبيا، السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة. ترجمة: فاروف عبد القادر، عالم المعرفة، الكويت،٢٠٠١.

سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

سيوران، تاريخ ويوتوبيا. ترجمة: آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت– بغداد،٢٠١٠.

شاكر عبد الحميد، الغرابة، المفهوم وتجلياته في الأدب، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٢.

شريف الدين بن دوبه، يوتوبيا المفهوم ودلالته في الحضارة الإنسانية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، سلسلة دراسات معاصرة، ٢٠١٨.

طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ٢٠٠٣.

كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ترجمة: محمد رجا الديريني، شركة المكتبة الكويتية، ١٩٨٠.

كامل شياع، اليوتوبيا معيارًا نقديًّا، ترجمة: سهيل نجم، مراجعة: صلاح نيازي، دار المدى، بغداد ٢٠١٢.

ليمان تاور سارجنت، دفاعًا عن اليوتوبيا، ترجمة: سعاد الطويل، مجلة ديوجين، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، عدد ٢٠٩، ٢٠٠٧.

محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة إبداع عربي، ٢٠١٢.

مصطفى حجازي، الإنسان المهدور، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠١٣.

نعيمة علي، ديستوبيا الواقع واليوتوبيا المأمولة في رواية "آلة الزمن"، مجلة فكر وإبداع، ٢٠٠٩.

ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤.